من المصنفات الصغيرة

ترجمان شعب الإيمان

تصنيف الإمام الحافظ أبي حفص سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني الشافعي المصري

المتوفى سنة 805هـ

تحقيق: د. عبد الرحمن بن يطو | باحث في التراث العربي الإسلامي-جامعة الجزائر 1

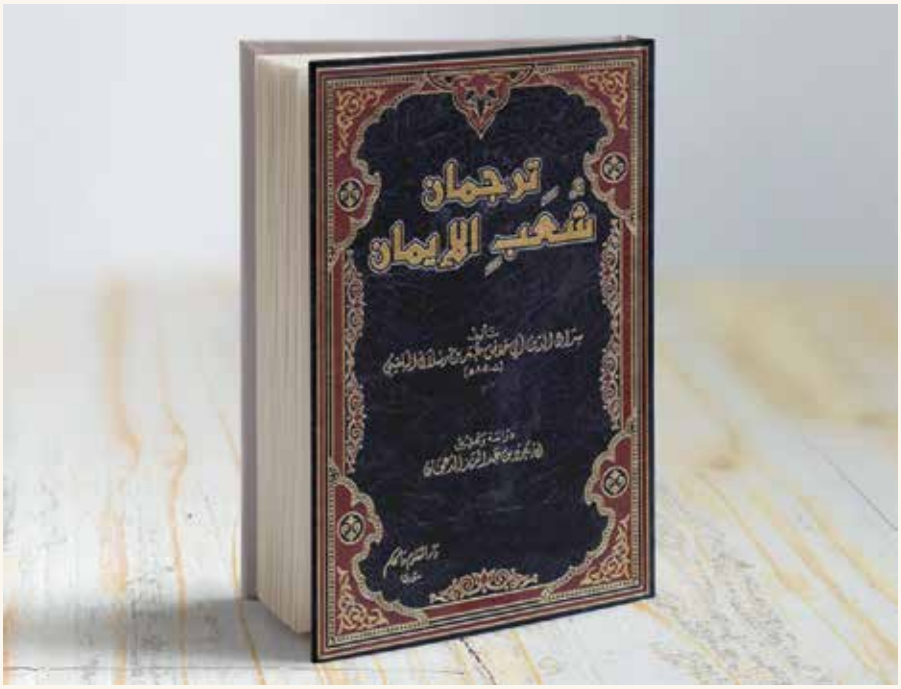

اعلم أيها القارئ الباحث أنه قد صنَّف في شعب الإيمان كثيرٌ من الأئمة الأفاضل رحمة اللّه عليهم أجمعين، بيانا للحق الذي أرسل به رسولُ الهدى محمد ﷺ، وإرشادا لعامة المسلمين حتى يكونوا على بصيرة من أمر دينهم، وتحقيقا لمعنى الإيمان الذي دعت إليه رسلُ اللّه عليهم السلام، ليعظّم اللّهُ معرفة وتوحيدا وعبودية وقصدا، وليُتَّبع الرسولُ اقتداء وأسوة، ولتؤدَّى به الواجبات والمندوبات، وتمنع به المكروهات والمنكرات، وتحفظ الحدود فتقام وترسم، وتضمن الحقوق على الوجه الأتم، وتنتشر الألفة والتواد، ويسود التعاطفُ بين العباد، على أن مبلغ سعادة البشر حين يجدوا حلاوة الإيمان، ﴿فللذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾، ﴿لهم دار السلام عند ربهم﴾، ﴿وهو وليهم بما كانوا يعملون﴾، ﴿تعرف في وجوههم نضرة النعيم﴾، ﴿وجوه ناضرة إلى ربها ناظرة﴾، وهذه الشعب الإيمانية كثيرة، وطرق البر والأجر بها عديدة، وقد أُغْفِل عنها كثيرٌ من الخلق، وقصرت بهم الهممُ والإرادات عن موالاة أهل الصدق في جدِّهم واجتهاداتهم، الذين لم يتركوا بابا من الخير إلا ولهم فيه من العمل نصيب، ولا ريب -إذا ما كنتَ جازما- أن مَن فَقِه هذه الشعب الإيمانية فقد منّ اللّه عليه، وفتح له من الخير كلّ باب.

والمحروم من حرم نفسه، ثم أليست الشعب الإيمانية تزيد عن الستين أو السبعين؟ ولو اجتمع الصالحون على الإتيان بها لما أحاطوا بفضل اللّه الواسع، ولو اجتهد المجتهد في تحصيلها لعمّ النفعُ بها القاصي والداني، غير أن في العمر إن طال سعة للاستدراك لمن أراد أن يأتي بالواحدة بعد الأخرى، وفّق اللّه بمنّه وفضله كلَّ ساعٍ للخير مريد للبر.

هذا وقد صنّف في تعيين شعب الإيمان جماعةٌ منهم:

- الإمام **أبو عبداللّه الحليمي**، صنّف فيها كتابا سماه (منهاج الدين في شعب الإيمان)[1].
- قال **الزركلي**(2/235): ثلاثة أجزاء، قال **الإسنوي** في (ملخص المهمات): "جمع فيه أحكاما كثيرة ومعاني غريبة لم أظفر بكثير منها في غيره".
- ثم الحافظ **أبو بكر البيهقي** وسماه (الجامع المصنف في شعب الإيمان).
- وللحافظ **الجلال السيوطي** زوائد على كتاب (شعب الإيمان للبيهقي).

(1) هو الإمام أبو عبد اللّه حسين بن الحسن الحليمي الجرجاني الشافعي المتوفى سنة ثلاث وأربعمائة 403هـ فيه أحكام كثيرة، ومسائل فقهية وغيرها مما يتعلق بأصول الإيمان، رتبه على سبع وسبعين بابا على أن للإيمان بضعا وسبعين شعبة، واختصره القاضي علاء الدين أبو الحسن علي بن إسماعيل التبريزي القونوي المتوفى سنة تسع وعشرين وسبعمائة 729هـ، ونظمه نور الدين الأشموني (المتوفى بعد التسعمائة)، وشرحه شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني المتوفى سنة سبع وسبعين وتسعمائة977هـ.
انظر: كشف الظنون(2/1871).

- وللشيخ **عبد الجليل القصيري الأندلسي** أيضا كتاب سماه (شعب الإيمان).[2]
- والإمام أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم **بن مسرة التجيبي الكتاني الطليطلي** كتاب سمّاه (كتاب النصائح).[3]
- والإمام **أبو حاتم بن حيان** وسمّاه (وصف الإيمان وشُعبه).
- والإمام الحافظ أبو الفداء **إسماعيل بن كثير الدمشقي**.

قال في (كشف الظنون) (2/1048) "(شعب الإيمان) رسالة للشيخ محيي الدين محمد بن علي **بن عربي** المتوفى سنة 638، ثمان وثلاثين وستمائة. أوله: (الحمد لله الذي نور ضمائر أرباب الدين بأنوار الإسلام ... إلخ). وسماه: (تحرير البيان في تقرير شعب الإيمان)".

وقال في (كشف الظنون) (1/263) أيضا: "وكتاب البيان في تقرير شعب الإيمان لخصه بخشايش بن حمزة الرومي".

- (تنبيه الوسنان إلى شعب الإيمان) للشيخ زين الدين: **عمر بن أحمد الشماع الحلبي** المتوفى سنة 936، ست وثلاثين وتسعمائة. وهو مختصر: (مورد الظمآن) من تأليفه. أفاده في (كشف الظنون)(1/488).
- (شعب الإيمان لأبي حفص عمر بن أحمد بن شاهين (ت385هـ).
- (شعب الإيمان) لمحمد بن محمد الأنصاري المالقي (ت754هـ).
- وللحافظ مرتضى الزبيدي كتاب بعنوان (عقد الجمان في بيان شعب الإيمان)، مخطوط في الأزهرية 307528، وله نسخة بالمكتبة المركزية بجامعة الملك سعود بالرياض رقم الحفظ: 2/3117 مجاميع، كما أفادته خزانة التراث(59441).

ومن الكتب المغربية المهمّة في ذلك:

- (شعب الإيمان) لأبي محمد عبد الجليل بن **موسى بن عبد الجليل الأنصاري** الأوسي القرطبي القصري (المتوفى سنة 608هـ) نعته **الزبيدي** في (التاج) بالإمام. وأشار الزركلي (3/276) إلى كونه مخطوطا في خزانة الرباط 208 أوقاف و512ك)، وقد ذكره السخاوي في(الضوء اللامع) (11/69) والتنبكتي في (نيل الابتهاج) (335).

وهذا التصنيف اللطيف الذي نقدّم له، من آثار شيخ الإسلام الإمام سراج الدين أبي حفص البلقيني، وقد اعتمدتُ في إخراجه على نسختين خطيتين:

الأولى: نسخة المكتبة الوطنية الجزائرية، وتقع في وريقات متطايرة، إلا أنها كاملة تامّة، وهي ضمن مجموع رقم:2632.

الثانية: مصورة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحت رقم:977 وهي نسخة الظاهرية (ضمن مكتبة الأسد) دمشق-سوريا رقم الحفظ: 29 (32)/3769 وعنها مصورة أيضا بمكتبة المخطوطات – الكويت رقم الحفظ: 517 ورقم: 606 م ك مج1.

وله نسخٌ أخرى في العالم لا بأس أن نشير إليها:

من خزانة التراث(11202) و(39912):

- مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية بالرياض، رقم الحفظ: 0228ف.
- المكتبة المركزية بمكة المكرمة رقم الحفظ: 1/642.

واللّه عز وجل أسأل أن ينفع بهذا التصنيف الخاص والعام.

الكلام حول كتاب ترجمان شعب الإيمان

نُسِب كتابُ (ترجمان شعب الإيمان) جريا على الخطأ **لابن الملقن** سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى سنة 804هـ) [4]، ونسبه للبلقيني جماعةٌ من الباحثين، منهم:

- **حاجي خليفة** في كشف الظنون (1/397)، (2/1048). قال: أوله: "اللّه أحمد لا إله إلا هو... إلخ).
- **عمر رضا كحالة** في معجم المؤلفين (7/284).
- **أحمد بن سليمان بن يوسف العريني**، محقق شرح الفصول المهمة في مواريث الأمة للبدر الشهير بسبط **الماردين**ي الدمشقيّ (المتوفى: 912هـ) طبع دار العاصمة، 1425هـ/2004م. (1/109).
- الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم) جمع وإعداد: جماعة من المؤلفين، نشر مجلة الحكمة، مانشستر-بريطانيا الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م. (2/1753).
- أبو مصعب **محمد صبحي بن حسن حلاق** جامع: (الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني): مكتبة الجيل الجديد، صنعاء-اليمن (3/1420).
- **أبو يعقوب نشأت** بن كمال المصري، محقّق (تدريب المبتدي وتهذيب المنتهي) للبلقيني دار القبلتين، الرياض الطبعة الأولى، 1433هـ/2012م (1/48).

طبعات الكتاب

سبق لكتاب (ترجمان شعب الإيمان) أن نشرته دار العلوم والحكم بدمشق سوريا عام 1424هـ/2004م، ط1، تحقيق (جامع التراث): د.سعود بن عبد العزيز **الدعجان**. وقد رجعنا إلى هذه النشرة واستفدنا منها.

ومن الجدير أيضا بالذكر أن البحاثة الشيخ **مشهور حسن سلمان** قد شرع في جمع تراث البلقيني في مشروع الأعمال الكاملة، وقد أفدناه بنسخة الجزائر، وهذا تكملة للغرض. وفّقه اللّه وإيانا.

وبين يديك الآن تصنيف الإمام شيخ الإسلام سراج بن أبي حفص عمر بن رسلان البلقيني الشافعي المصري، فقد من اللّه بميلاده سنة أربع وعشرين وسبعمائة، بكّر به أبوه في طلب العلم فحفظ متونا كثيرة بعد حفظه

(2) العلامة الزاهد العابد أبو محمد عبد الجليل بن موسى الأنصاري الأندلسي القصيري، كان متقدما في علم الكلام مشاركا في فنون، عمل تفسير القرآن، وكتاب شعب الإيمان، وكتاب المسائل والأجوبة، كان صاحب زهد وتبتل، توفي بسبتة سنة ثمان وستمائة. سير أعلام النبلاء (21/420) (12/22).

(3) الإمام أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم التجيبي مولاهم الكناني الطليطلي،كان من أهل العلم والفهم والعقل والدين المتين والزهد والبعد عن السلطان لا تأخذه في اللّه لومة لائم، توفي سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة. سير أعلام النبلاء (16/80)(16/108).

(4) انظر: "التوضيح لشرح الجامع الصحيح" لابن الملقن تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، طبع: دار النوادر، دمشق-سوريا 1429هـ /2008م. (1/330). جاء في التقدمة:كتبٌ نسبت إلى ابن الملقن وليست له: (1) التأديب في مختصر التدريب.(2) ترجمان شعب الإيمان. نسبهما له إسماعيل باشا في "هدية العارفين" (1/791) وهما من مؤلفات السراج البلقيني ا.هـ وقد توارد الناس على نسبته لابن الملقن منهم: محمد رشاد خليفة في كتابه "مدرسة الحديث في مصر: طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية بالقاهرة. (ص72). ومنهم أيضا: مصطفى محمود الأزهري محقق قواعد ابن الملقن أو «الأشباه والنظائر في قواعد الفقه» طبع دار ابن القيم للنشر والتوزيع، الرياض ودار ابن عفان للنشر والتوزيع، القاهرة ط1: 1431هـ /2010م. (1/15).

لكتاب اللّه تعالى، وأخذ العلم عن العلماء الكبار كتقي الدين **السبكي** وجلال الدين **القزويني**، وصهره الحافظ **العلائي**، وأثير الدين **أبي حيان** وغيرهم، وأذنوا له في الإفتاء وهو في سن الخامسة عشر، فاستمر على التدريس والإفتاء والتصنيف حتى وافته المنية في الحادي والثمانين، سنة خمس وثمانمائة، يوم عرفة، وترك من التلاميذ الجهابذة ما لا يحصى عددا، يكفيك ولداه: **جلال الدين عبد الرحمن**، و**علم الدين صالح**، ومن أتى بعده من آلهم مدّة تزيد عن قرنين.

يقول الحافظ **الجلال السيوطي** في (حسن المحاضرة) (338/1): "..لما حججتُ (وكانت حجّته عام 869هـ) شربتُ من ماء زمزم، لأمورٍ؛ منها أن أصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر".

نصّ الكتاب

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام أبو حفص سراج الدين البلقيني رحمه اللّه:

[اللّه أحمد لا إله إلا هو الكريم المنان، وأشكره فهو الذي هدانا برحمته للإيمان، ومنحنا من فضله الإسلام والإحسان، وحبّب إلينا الصفات الكاملة والطاعة والعرفان، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، وأكمل لنا دينَه وبيّنه أكمل بيان، على لسان أكمل الخلق سيدنا محمد المنتخب من ولد عدنان، الذي بعثه اللّه للعالمين بدين الهدى، وأنزل عليه الكتاب والسنة للتبيان.

صلى اللّه عليه صلاةً وسلاما يتكرران بتعاقب الزمان، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم فسلك طريق السلامة والأمان][5]، أما بعد:

اللّه أحمد لا إله إلا هو، فهذا ترجمان شعب الإيمان ظهر لي من فتح ربنا العظيم وفضله العميم، أدرته على جواب النبي الجليل لسؤال الأمين **جبريل** عليهما أفضل الصلاة والتسليم، وأعظم البركات والتكريم، المشتمل على بيان الإسلام والإيمان والإحسان الذي به حصل التمام، **فذلك كله جملة الدين لكل واحد منها ثلث الخصال [التي سنذكر ونبين، ولنبدأ بذكر الشعب سردا ليحفظها ويعمل بها من صحَّح ذلك قصدا]:**

فنقول أما الثلث المتعلق بإيمان القلب فهو ثلاث وعشرون، وهي:

أن يؤمن باللّه ذاته وصفاته وملائكته وكتبه جملة وما اتصل بنا تفصيله، وبجملة القرآن وتفصيله، وأنه كلام اللّه تعالى المنزل على نبيه محمد ﷺ الذي أعجز الإنس والجن أن يأتوا بسورة من مثله، وأنه هذا المتلو المتواتر، وأن يؤمن برسل اللّه وأنبيائه، وبأن الرسول المبعوثَ إليه، وإلى العالمين، نبينا محمد ﷺ سيد الأولين والآخرين، وبأن سيدنا محمدا ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين الذي يلزمنا، ويلزم جميع من تبلغه شريعته من جميع العالمين إتباعه، ويؤمن بسنته وبجملة شريعته وما بلغه من تفصيلها، ويؤمن بالقدر كله خيره وشره، [وبفناء الدنيا وهو مقتضى اليوم الآخر على ما جزم به الحليمي والأظهر أن اليوم الآخر والدار الآخرة معنى واحد،] وبالبرزخ [فحمل عليه اللقاء على قولين،] وبأحوال البرزخ من سؤال الملكيْن وجواب الميت، وبنعيم القبر وعذابه، وبالبعث الآخر، وبالحساب، والميزان، والصراط، والحوض، والشفاعة، ونظر المؤمنين إلى اللّه عز وجل، وبالجنة والنار، وما ثبت من المغيَّبات من قصص الجن ونحو ذلك، فهذه ثلاث وعشرون، على تقدير أن يكون الإيمان بصفات اللّه تعالى شعبة ثابتة، وأن يكون الإيمان بالبرزخ وأحواله واحدة، وأن يكون الإيمان بالحساب شعبة غير الإيمان، وإن ضممت اثنتين مما ذكر إلى ما يلائمهما، فالشُعب إحدى وعشرون، وإن لم تضمّ من ذلك شيئا، وجعلت الإيمان بالبرزخ وأحواله ثنتين وأضفت إلى ذلك المعرفة واليقين لأنك تعرف فتؤمن وتتيقن، كانت الجملة ستا وعشرين، وإذا جعلت المعرفة واليقين واحدا كانت خمسا وعشرين، ويظهر أثرُ ذلك في الجملة كما سيأتي.

والأقرب أن المعرفة واليقين من قسم الإحسان المشار إليه بقوله ﷺ:{أن تعبد اللّه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك}، فإن ذلك فيه الإشارة إلى المعرفة واليقين.

وأما كراهة الكفر والفسوق والعصيان وإنكار ما يلقيه الشيطان من العظائم للإنسان بالوسوسة، فذلك من قسم الإحسان.

وأما الكفر بما عبد من دون اللّه فهو مستلزم للإيمان باللّه وحده، فلذلك لم تعدّ من الشعب.

وأما الثلث المتعلق بالأعمال الظاهرة فثلاث وعشرون:

الأولى: الشهادة لله عز وجل بأنه لا إله إلا هو، وإذا انضم أعلى شعب الإيمان وهو الإيمان باللّه إلى أعلى ما يظهر من الأعمال كان أعلى الشعب لا إله إلا اللّه، وكذا صح عن النبي ﷺ.

الثانية: الشهادة نطقا للنبي محمد ﷺ بالرسالة العامّة، وهاتان الشعبتان لا بد من النطق بهما لمن يمكنه النطق، وبهما يحصل الإسلام ظاهرا، وهما الركنين الأعظم من أركان الإسلام الخمس، وبهما مع الذي تقدم من المعتبر في الإيمان، يحصل الإسلام النافع، والإيمان النافع، ويطلق على من وجد ذلك منه مؤمنًا ومسلما، حيث لم يخل بتعظيم ما يعظمه معتبر في صحة الإيمان والإسلام، فإذا أتى بكل الأعمال فهو المؤمن الكامل، والمسلم الكامل.

ومن الشعب الظاهرة: الطهارة الصغرى والطهارة الكبرى، ويتفرع من هاتين الشعبتين الكلام على ما يتطهر به، وآنيته، وبدله عند الفقد، وكيف يفعل عند عدم الكل، والأسباب الموجبة للطهارتين المذكورتين، وينجر إلى الطهارة عن النجاسة والكلام عليها، وطهارة البدن والثوب، والموضع والاستنجاء، وإزالة الأوساخ، وذكر الطهارات المسنونة.

الخامسة: الصلاة وهي الخمس التي هي إحدى أركان الإسلام، ومنها الجمعة، وينجرّ ذلك إلى الجماعة، وإظهارها في المساجد، ثم يتفرع من هذه الشعبة الصلوات المشروعة كلها حتى المندوبة، والجنازة واتباعها، وقيام شهر رمضان، وقيام ليلة القدر، والرواتب، وقيام الليل، ولها شعائر وتتمات وشرائط وأحوال معروفة في الفقه عُقد لها كتابُ الصلاة تحته أبوابٌ إلى الزكاة، وفي ذلك صلاة العيدين والخسوفين والاستسقاء.

السادسة: الزكاة، وأبوابها معروفة، ونصوبها مبينة في السنة الصحيحة، ويتفرع منها زكاة الفطر، ومن تمام هذه الشعبة صرفها إلى مستحقيها على الوجه المطلوب شرعا، وذلك معروف في قسم الصدقات، ويجر ذلك إلى صدقة التطوع.

السابعة: صيام شهر رمضان، ويتفرع عن ذلك قضاؤه، وما وجب من الصيام بسبب فدية أو كفارة أو نذر، وينجر إلى صيام التطوع. وعد **الحليمي**[6] الاعتكاف شعبةً مستقلة، وفيه نظر، فليذكر في شعبة الصوم لأن الغالب على اعتكاف النبي ﷺ كان في شهر رمضان المعظّم، ثم لازَمَ الاعتكاف في العشر الأخير منه حتى توفاه اللّه عز وجل.

الثامنة: حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا.

(5) كل ما يرد بين [ ] فهو ملحق من نسخة الظاهرية.

(6) شعب الإيمان للحليمي (423/3) تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول. الطبعة الأولى دار الكتب العلمية 1410هـ.

التاسعة: الاعتمار ويتفرع من هاتين الشعبتين إحياء الكعبة بالزيارة والطواف وغيرهما، وينجر الكلام إلى التطوع بذلك والهدي والقلائد.

العاشرة: الجهاد.

الحادية عشر: المرابطة، ويتفرع منها إعداد الأسلحة والخيل وتعلم الرمي والحرب والمسابقة والمناضلة والثبات للعدو عند الالتقاء مع الذي يتعلق بذلك.

الثانية عشر: أداء خُمُس المغنم ويتفرع منها الفيء والمغانم، فحقوق ذلك كله.

الثالثة عشر: أداء حقوق اللّه عز وجل من كفارة ونذر ونحوهما، ويتفرع من ذلك إقامة الشعائر بذبح الأضاحي والعقيقة ونحو ذلك.

الرابعة عشر: الهجرة، ويتفرع من ذلك هجر الفواحش كلّها ما ظهر منها وما بطن، ويتناول ذلك النفوس والجناية عليها، ويدخل في الجناية الأطراف والمعاني وغيرها، والقروح إلا ما أبيح له، وأموال الناس إلا بطريق شرعي، ودخل في تحريم الأموال السرقة والنهبة وقطع الطريق والاختلاس والخيانة والرشوة، ودخل فيما تقدم الأعراض المحرّمة، ويتناول ذلك كلّ محرم من كبير وصغير، حتى في العبادات كالصلاة قبل وقتها عمدا مع العلم بالحال، والصلاة للنهي عنها في أوقات النهي، وصوم العيدين والتشريق والشك إلا فيما استثني، وصلاة الحائض والنفساء وصومهما، وصلاة المحدث والجنب حيث لم يوجد إذن شرعي. ومن المحرم الذي يهجر الوطءُ في الحيض والنفاس والإحرام والاستبراء، وغير ذلك مما هو مقرّر في الشريعة، والغش في المعاملات وغيرها، وسيأتي تتمته في النصيحة. ومن المحرم أشياء في الملابس والفرش والأواني والملاعب والملاهي وينجر ذلك إلى اجتناب المكروه وهو كثير.

الخامسة عشر: إقامة الإمام، ويتفرع منها الحكم بين الناس، ونصب من يكون أهلا لذلك من القضاة والولاة والمحتسبين وغيرهم، وطاعة أولي الأمر، وردّ الأمور إلى أوامر اللّه ورسوله ﷺ والرضا بذلك الأمر والتسليم من غير حرج.

السادسة عشر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنه نصرة المظلوم، وإغاثة الملهوف، والتعاون على البر والتقوى.

السابعة عشر: العدل وهو يتناول عدل الأئمة والسلاطين والقضاة وولاة أمور الناس، والعدل بين الزوجات وبين الأولاد ونحو ذلك، مما هو مقرر في الشريعة، وبتمام العدل تحصل الاستقامة.

الثامنة عشر: لزوم الجماعة، ويتفرع من ذلك الالتزام بالإجماع، فإذا انضم ذلك إلى الكتاب والسنة، كان ذلك أدلة الشرع، وينشأ منها الاعتبار والقياس، وهذه الأربعة أدلة الفقه. [وبسط الكلام عليها وعلى متعلقاتها أصول الفقه].

التاسعة عشر: الوفاء بالعهد، وينجر ذلك إلى الكلام على الأمان والذمة والهدنة.

العشرون: الأمانة، وينجر ذلك إلى الوديعة وما تحت يد الإنسان مما يؤتمن عليه بولاية شرعية على يتيم أو وقف، ويدخل في هذه الشعبة القراض والشركة والوكالة وغيرها.

الحادية والعشرون: الصدق.

الثانية والعشرون: كف الأذى عن الناس، وأعلاه كف الأذى عمن قال لا إله إلا اللّه، بتمامه المعتبر، ولا يكفر بالذنوب.

الثالثة والعشرون: قول الخير، ومن ذلك الأذكار على ما جاء فيها من الأخبار والآثار، وترك ما لا يعني، قال اللّه تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون، والذين هم عن اللّغو معرضون﴾ [سورة المؤمنون الآية (1-2-3)]، وصح عن **رسول اللّه** ﷺ قال:{من كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت}[7]، وعلى ترك الكلام فيما لا يرضي اللّه تعالى.

[يحمل على العي من شعب الإيمان، وسيأتي، وإذا أخذت ما أضفناه في بعض الشعب ورددت إلى خمس وعشرين أو إلى ست وعشرين، أو اختصرت إلى إحدى وعشرين ظهرتْ لك المقاصدُ في العدّ وحمل الروايات التي سنذكر].

وأما الثلث المتعلق بالإحسان المشار إليه بقوله ﷺ:{أن تعبد اللّه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك} وفي رواية:{أن تخشى اللّه كأنك تراه} الحديث، [وسيأتي بتمامه] وخصاله ثلاث وعشرون:

المعرفة واليقين: المشار إلى ذلك بأن تعبد اللّه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، ومنهم من عدّ ذلك شعبتين.

التوبة والخوف: ويتفرع من ذلك المراقبة والتفكر في وعيده وعظمته وملازمة ذكره والخشوع والخضوع والإخلاص المحض.

الرجاء: ويتفرع منه الثقة بوعده مع القول في الدعاء، وشروطه وآدابه وأحواله.

الورع: [ويتفرع منه ترك ما استراب]، ويتفرع منه التورع في المطاعم والمشارب والملابس والمساكن وغير ذلك.

الزهد: ويتفرع منه قصر الأمل.

القناعة: ويتفرع منها الاقتصاد في النفقة وغيرها، مما يطلب فيه الاقتصاد والرفق.

الصبر: ومنه الصبر على ما يصيبه عند أمرٍ بمعروف أو نهي عن منكر، والصبر على المصائب التي ترد عليه وغير ذلك.

الشكر: ويتفرع عليه الفكر في نعمة اللّه عز وجل وتأمّلها.

الرضى[و] التوكل: ويتفرع منها التفويض والتسليم والاعتصام به، وينجر ذلك إلى القول في التداوي والاسترقاء، وسائر الاحترازات، وأن لا عدوى ولا طيرة.

[حب اللّه تعالى]: وإعظامه وإجلاله، وإعظام كتبه وآياته.

حب النبي ﷺ وإعظامه وإجلاله وتوقيره، وإعظام الأنبياء والملائكة وحبهم.

وحب أصحاب النبي ﷺ من العشرة والمهاجرين والأنصار، وبقية الصحابة.

أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويدخل فيه أن يحب له الخير، وترك المنكر، وأن يستر عليه إذا وقع في ذنب ويدرأ عن عرضه، ويتفرع من هذه ترك الغلّ والحسد إلا الغبطة المستثناة.

الحب في اللّه تعالى والبغض في اللّه تعالى: ويتفرع من هذه مباعدة الكفار والمفسدين والإغلاظ عليهم. والغيرة على طلب العلم ونشره وتلاوة القرآن وإدمان ذلك، وما يتعلق بأبوابه وفصوله.

كراهة الكفر والفسوق والعصيان: وإنكار ما يلقيه الشيطان من العظائم بالوسوسة للإنسان، ويتفرع من ذلك السرور بالحسنة، والاغتمام بالسيئة، والشح بالدين.[8]

النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم: يتفرع منها النصيحة في المعاملات من بيع وسلم ورهن وقرض وشركة وإجارة ومساقاة ووصية وهبة وغيرها.

البر والصلة: ويتفرع من ذلك الجود والسخاء، وأعلاه بر الوالدين، وصلة الرحم، وإكرام الضيف والجار والإحسان إليهما، ورحمة الصغير، وتوقير الكبير، وإقراء السلام على من عرفت ومن لم تعرف من المسلمين.

(7) صحيح البخاري (5/2376)تحقيق مصطفى ديب البغا الطبعة الثالثة دار بن كثير اليمامة 1407هـ/1987م .صحيح مسلم (1/68-69)تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي طبعة دار إحياء التراث العربي.

(8) أي التمسك بالدين والمحافظة عليه.

الإحسان إلى الأهل والبنات والأولاد والسادة والمماليك: ويتفرع منه فك الرقاب وأنواع القربات، منها عيادة المريض، وتشميت العاطس إذا حمد اللّه، وإيتاء المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين والسائلين وفي الرقاب، وينجر إلى إعانة المكاتب، وإيقاع الكتابة والتدبير ونحوهما، ومن أعاليه حسن الخلق، وكظم الغيظ ولين الجانب والتواضع.
وترك الغضب.
وترك المرآء.
وإماطة الأذى عن الطريق.

هذه ثلاثٌ وعشرون، فإذا أضفتها إلى ما سبق من ثلاث وعشرين في الثلث الأول وثلاث وعشرين في الثلث الثاني فهي تسع وستون. واعلم أن أدناها إماطة الأذى عن الطريق.
[وإذا اختصرتَ إلى إحدى وعشرين، وأضفتَ ذلك إلى ما اختصرته في الثلثيْن السابقيْن، وجعلت الإخلاص والنية شعبة واحدة غير مختصة بثلث من الأثلاث، كانت الجملة أربعا وستين، لك أن تجعل أربعا وستين بابًا على ذلك، وإذا زدت مما سبق إلى خمس وعشرين أو إلى ست وعشرين على وجه لا ينافي مما سبق في الإيمان كانت الجملة خمسا وسبعين أو ثمانيا وسبعين، ثم تضيف إلى الثمان الإخلاص الشامل للكل لقوله تعالى:﴿وما أمروا إلا ليعبدوا اللّه مخلصين له الدين﴾ [سورة البينة الآية 5] فتكون الجملة تسعا وسبعين، وإذا عددتها سبعا وسبعين، جعلت من كل ثلث خمسا وعشرين ثم تضيف النية والإخلاص شعبتين، فتكون الجملة حينئذ سبعا وسبعين.

ولسنا نعتقد أن أعيان ما ذكرناه هو المراد بالأحاديث، لكن ذكرنا هذه الجملة التي يمكن حمل الأحاديث عليها، على أن ذلك ممكن، لا أنه عين المراد، واخترنا تسعا وستين لأن الوتر في ذلك حسن محبوب، وقد صح في أسماء اللّه تعالى أنها تسعة وتسعون اسما فتناسبا بالوتر به بتسع وستين، وهي أقل في الاعتراض.
وأحسن من ذلك الجري على أربع وستين، وقد جرى عليه القصري تمسّكا برواية أربعا وستين بابًا، وستأتي الرواية، وعدّها الحليمي سبعا وسبعين، لكن ذكر أشياء للبحث فيه مجال، مع أن البضع والستين أو السبعين محتمل لكل من احتمالات البضع، ويمكن العدّ مما سبق على كلٍّ من الاحتمالات علم بالتأمل.

ولم نجد أحدا عدّها تسعا وسبعين إلا ما حكي عن ابن حبان، وإن كان ممكنا.

والآن فلنذكر حديث **جبريل** بالسند ليظهر لمقصدنا صحيح المستند، ثم نسنده من طريقين كل واحدة من أحد الصحيحين، وقصدنا في ذلك الاختصار فإنه أنفع للحفظ والاعتبار، وقدّمنا للطريقة التي فيها البداءة بالإيمان، فتلك لها شواهد من القرآن، والكل متوافق وإنما القصد البداءة بالسوابق، فنقول:
أخبرنا الشيخ نجم الدين **البغدادي**[9] قال أخبرنا .....قال أخبرني **الأزدي**[10] قال أخبرنا **الجراحي**[11] قال أخبرنا **المحبوبي**[12] قال أخبرنا **الترمذي** قال حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث **الخزاعي** قال أخبرنا **وكيع** عن **كهمس** بن الحسن عن عبد اللّه بن بريدة عن **يحيى بن يعمر** قال: "أوّل من تكلم في القدر معبد الجهني، قال: خرجت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حتى أتينا المدينة، فقلنا: لو لقينا رجلا من أصحاب النبي ﷺ فسألناه عما أحدث هؤلاء القوم، فلقيناه يعني عبد اللّه بن عمر وهو خارج من المسجد، قال: فاكتنفته أنا وصاحبي، فقلت: يا أبا عبدالرحمن إن قوما يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم ويزعمون أن لا قدر وأن الأمر أُنف، قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني منهم بريء وأنهم مني برآء، والذي يحلف به عبد اللّه لو أن أحدهم أنفق مثل أحد ذهبا ما قبل ذلك منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، قال: ثم أنشأ يحدث فقال: قال عمر بن الخطاب كنا عند رسول اللّه ﷺ فجاء رجلٌ شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى أتى النبي ﷺ، فألزق ركبته بركبتيه، ثم قال يا محمد:ما الإيمان؟ قال: {أن تؤمن باللّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره}، قال: فما الإسلام؟ قال: {أن تشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان. قال: فما الإحسان؟ قال: {أن تعبد اللّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك}، قال في كل ذلك صدقت، قال: فعجبنا منه يسأله ويصدقه، قال: فمتى الساعة؟ قال: {ما المسئول عنها بأعلم من السائل}، قال: فما أمارتها؟ قال: {أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة أصحاب الشاء يتطاولون في البنيان}، قال: عمر فلقيني رسول اللّه ﷺ بعد ذلك بثلاث، فقال {يا عمر: هل تدري من السائل؟ ذلك جبريل أتاكم يعلمكم معالم دينكم}".

قال **الترمذي**: حدثنا أحمد بن محمد قال أخبرنا **ابن المبارك** أخبر **كهمس** بن الحسن بهذا الإسناد نحوه بمعناه.
وفي الباب عن **طلحة بن عبيد اللّه** و**أنس بن مالك** و**أبي هريرة** وهذا حديث صحيح حسن قد روي من غير وجه نحو هذا، وقد روي هذا الحديث عن **ابن عمر** عن النبي ﷺ والصحيح هو عن **ابن عمر** عن **عمر** عن النبي ﷺ، ذكر ذلك كلّه **الترمذي**[13] في باب ما وصف **جبريل** للنبي ﷺ، الإيمان والإسلام، وذلك في أبواب الإيمان، وإنما سقنا طريقة الترمذي من أجل أنها من رواية أمير المؤمنين **عمر بن الخطاب** (رضي اللّه عنه) وفيها تقديم الإيمان.

(9) الإمام ابن أبي الذر نجم الدين عبد العزيز بن عبد القادر بن أبي بكر بن أبي داود بن أبي الذر محمود بن أبي منصور الربعي البغدادي المتوفى سنة ثمان وأربعين وسبعمائة. تعريف ذوي العلا للإمام تقي الدين الفاسي (ص54)تحقيق شعيب أرناؤوط و أكرم البوشي الطبعة الأولى دار كتاب الصادر بيروت 1998هـ.

(10) الإمام محمود بن القاسم بن محمد بن محمد بن عبد اللّه بن محمد بن الحسن بن محمد بن مقاتل بن صبيح بن سبع بن عبد الملك بن يزيد بن مهلب ابن أبي صفرة أبو عارم الأزدي القاضي الهروي، كان عديم النظير زهدا و صلاحا وعفة، و لم يزل على ذلك من ابتداء أمره إلى انتهاء عمره، و كان إليه الرحلة من الأقطار لسماع الأسانيد العالية، توفي سنة سبع وثمانين وأربعمائة بهراة. التقييد لأبي بكر البغدادي(462/1) تحقيق يوسف الحوت الطبعة الأولى دار الكتب العلمية 1408هـ.

(11) الإمام القاضي المحدث أبو الحسن الجراحي علي بن الحسين البغدادي المتوفى سنة خمس و سبعين و ثلاثمائة. شذرات الذهب لابن العماد(205/3) تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. طبعة دار الكتب العلمية.

(12) الإمام أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي بن الفضيل التاجر المحبوبي، توفي سنة أربعين وثلاثمائة. سير النبلاء (315).

(13) سنن الترمذي(6/5).

وقد أخرج الحديث **مسلم** في صحيحه لكن بتقديم الإسلام، وقد أخرج **البخاري** و**مسلم** حديث **جبريل** من طريق **أبي هريرة** لكن في ذكر الإسلام: {أن تعبد الله عز وجل ولا تشرك به شيئا}، ولم يذكر فيه الحج، ولا في الإيمان الكتب، وجمع بين اللقاء والبعث.

أخرجه **البخاري** في أول موضع من كتابه في ترجمة سؤال **جبريل** النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، وبيان النبي ﷺ له، ثم قال: {جاء جبريل يعلمكم دينكم}، فجعل ذلك كله دينا، وحينئذ فلنذكر الحديث بسندنا من طريق البخاري.

أخبرنا الشيخ المسند أبو علي عبد الرحيم المعروف **بابن شاهد الجيش**[14]، قال أخبرنا المشايخ الثلاث: **بن عزون**[15] و**بن رشيق**[16] وأبو العباس أحمد بن علي بن يوسف **الدمشقي**[17] قالوا أخبرنا أبو القاسم **البوصيري** وأبو عبد الله **الأرتاحي**، قال **البوصيري**: أخبرنا محمد بن بركات بن هلال النحوي[18]، وقال الأرتاحي[19]، أخبرنا أبو الحسن الفراء الموصلي[20] قالا أخبرتنا كريمة المروزية، قالت أخبرنا أبو الهيثم محمد بن مكي بن محمد بن زراع الكشميهني[21] قال أخبرنا الفربري[22]، قال أخبرنا البخاري قال حدثنا مسدد، قال أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم، قال أخبرنا أبو حيان التيمي عن أبي زرعة عن **أبي هريرة** قال: "كان النبي ﷺ بارزا يوما للناس، فأتاه رجل فقال: ما الإيمان ؟ قال: {أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث}، قال: ما الإسلام؟ قال: {الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان}، قال: ما الإحسان؟ قال: {أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك}، قال: متى الساعة؟ قال: {ما المسئول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربتها، وإذا تطاولت رعاة الإبل البهم في البنيان في خمس لا يعلمهن إلا الله} ثم تلا النبي ﷺ ﴿إن الله عنده علم الساعة...﴾الآية، ثم أدبر الرجل، فقال: ردّوه، فلم يروا شيئا، فقال: {هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم}، فقال أبو عبد الله **البخاري**: جعل ذلك كله من الإيمان.[23]

أخرجه **مسلم** بمعناه، وفيه:{وتؤمن بالبعث الآخر}، وفي رواية لمسلم:"ما الإحسان؟ قال: {أن تخشى الله كأنك تراه}"، وفيها ذكر التصديق في الأجوبة الثلاثة.

وأخبرنا الشيخ الإمام العلامة أقضى القضاة شمس الدين محمد الشهير **بابن القماح**[24]، قال أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عمر الواسطي[25] قال أخبرنا أبو الفتح منصور بن عبد المنعم[26]، قال أخبرنا أبو عبد الله الفراوي[27] قال أخبرنا أبو الحسين عبد الغافر الفارسي[28]، قال أخبرنا أبو أحمد الجلودي[29]، قال أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن شعبان، قال أخبرنا الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج قال حدثني خيثمة زهير بن حرب، قال: أخبرنا وكيع عن كهمس عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر قال **مسلم**: أخبرنا عبيد الله بن معاذ العنبري وهذا حديثه، قال أخبرنا أبي قال أخبرنا كهمس عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من تكلم في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجّين أو معتمرين، فقلنا لو لقينا أحدا من أصحاب **رسول الله** ﷺ فسألناه عمّا يقول هؤلاء في القدر، فوفِّق لنا **عبد الله بن عمر بن الخطاب** (رضي الله عنه)

(14) الإمام أبو علي عبد الرحيم بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن محمد الأنصاري المتوفى سنة ست وأربعين وسبعمائة .تعريف ذوي العلا لتقي الدين الفاسي (ص41).

(15) الإمام المسند أبو طاهر بن عبد القوي بن عزون المتوفي سنة ستمائة وسبع وستين. شذرات الذهب لابن العماد(5/465).

(16) الإمام عثمان بن عبد الرحمن بن عتيق بن الحسن بن عتيق بن الحسين بن رشيق الربعي أبو عمرو بن أبي القاسم ابن الإمام أبي الفضائل المالكي المتوفى سنة ست و ستين وستمائة .سير أعلام النبلاء للذهبي(18/168).

(17) الإمام أبو العباس أحمد بن علي بن يوسف الحنفي المعدّل، المتوفى سنة اثنتين وتسعين وستمائة. شذرات الذهب لابن العماد(6/88).

(18) الإمام الشيخ العلامة البارع المعمر شيخ العربية و اللغة أبو عبد الله محمد بن بركات بن هلال بن عبد الواحد السعيدي المصري الأديب المتوفى سنة عشرين وخمسمائة. سير أعلام النبلاء للذهبي(19/455-456). شذرات الذهب لابن العماد(4/520).

(19) الإمام الشيخ الثقة الصالح الخبير المسند أبو عبد الله محمد بن الشيخ الصالح أبي الثناء حمد بن حامد بن مفرج بن غياث الأنصاري الشامي الأرتاحي المصري الحنبلي الأدمي من بيت القرآن و الحديث و الصلاح المتوفى سنة إحدى وستمائة. سير أعلام النبلاء للذهبي (21/415-416)، شذرات الذهب لابن العماد(5/70).

(20) الإمام العام الثقة المحدث أبو الحسن علي بن الحسين بن عمر بن الفراء الموصلي ثم المصري المتوفى سنة عشرة و خمسمائة. سير أعلام النبلاء للذهبي (19/500-501) شذرات الذهب لابن العماد(4/519).

(21) الإمام المحدث أبو الهيثم محمد بن مكي بن محمد بن مكي بن زراع بن هارون المروزي الكشميهني نسبة إلى قرية بمرو، المتوفى سنة تسع وثمانين وثلاثمائة. سير أعلام النبلاء للذهبي(19/491)، شذرات الذهب لابن العماد(3/261-262).

(22) الإمام المحدث العالم الثقة أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفربري راوي الجامع الصحيح، وفربر بكسر الفاء وبفتحها قرية من بخارى، المتوفى سنة عشرين وثلاثمائة. سير أعلام النبلاء للذهبي (15/10-13).

(23) صحيح البخاري(7/27).

(24) الإمام العالم الفقيه الشافعي المفتي المدرس الكبير شمس الدين أبو المعالي محمد بن أحمد بن إبراهيم بن حيدرة بن علي بن القرشي المتوفى سنة إحدى و أربعين و سبعمائة. شذرات الذهب لابن العماد(6/309)

(25) الإمام ابن برهان العدل الصدر رصي الدين إبراهيم بن عمر بن مض بن فارس المصري الواسطي المتوفى سنة أربع وستين ومائة. شذرات الذهب لابن العماد(5/455)،

(26) الإمام أبو الفتح و أبو القاسم منصور بن عبد المنعم بن أبي البركات عبد الله ابن فقيه الحرم المتوفى سنة ثمان وستمائة. سير أعلام النبلاء للذهبي (21/494)، شذرات الذهب لابن العماد(5/110-111) .

(27) الإمام أبو عبد الله الفُرَاوي محمد بن الفضل بن أحمد الصاعدي النيسابوري المتوفى سنة ثلاثين وخمسمائة. شذرات الذهب لابن العماد(4/249).

(28) الإمام أبو الحسين عبد الغفار بن إسماعيل بن عبد الغفار بن محمد الفارسي المتوفى سنة تسع وعشرين وخمسمائة. شذرات الذهب لابن العماد(5/245-246).

(29) الإمام أبو أحمد محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الرحمن بن عمرويه بن منصور الجلودي النيسابوري المتوفى سنة ثمان و ستين و ثلاثمائة. شذرات الذهب لابن العماد(3178).

داخلا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي، فقلت: "أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون [30] العلم وذكرت شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف"، فقال: "إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقد"ر، ثم قال:"حدثني أبي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ، إذ طلع علينا رجلٌ شديد البياض، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال يا محمد: أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: {الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا}، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدّقه، قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: {أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره}، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: {أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك}، قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: {ما المسئول عنها بأعلم من السائل}. قال: فأخبرني عن إمارتها، قال: {أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان}، ثم انطلق فلبثت مليا، ثم قال: {يا عمر أتدري من السائل؟} قلت: الله ورسوله أعلم، قال: {فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم}. [31]

إذا علمت ذلك، فأقول وما توفيقي إلا بالله وهو الذي يهدي: إن حديث **جبريل** وإن كان فيه الإيمان والإسلام والإحسان إلا أن ذلك يشمله الدين، ولذلك قال ﷺ في آخره: {هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم}، ورواية مسلم: {يعلمكم دينكم} في حديث عمر، وفي رواية الترمذي: {يعلمكم معالم دينكم}[32]، **وفي هذا إعلامٌ بأن هذه الأمور أعلام الدين ومعالمه**، ومنها يتفرع فروعه، فالإيمان الكامل هو الدين، وكذلك الإسلام الكامل، فالمراد بشعب الإيمان الإيمان الكامل، ونفي الإيمان عن عادم بعضها بحيث لا يصير كافرا يدل على وجوب ذلك المعدوم، وأما من لا يأت ببعض المستحبات فإنه لا ينفى عنه الإيمان بسبب عدم ذلك المستحب، ولكن يكون الآتي به قد فضل في إيمانه، فإثبات الكمال فيه وجب للجميع، ونفيه يكون بترك الواجب، ولا ينفى الإيمان لترك المستحب لانتشار المستحب وكثرته، بخلاف بعض العبادات فإنها قد تنفى بترك المستحب المؤكد نحو قوله ﷺ:{لا صلاة لفذّ خلف الصفّ}[33]، عند من يعتقد صحة صلاته، وأن ذلك مستحب مؤكد إذ الإيمان نفسه التصديق، وشرعا: تصديق خاص وهو النافع مع النطق بالشهادتين، وكماله التصديق والأعمال، والإسلام نفسه الانقياد، وشرعا في الظاهر انقياد خاص بأعمال ظاهرة، ونافعا في الآخرة، المشتمل على التصديق وكاملا المشتمل على ذلك مع فعل الخيرات، وترك المنكرات واللغو، فكان الإيمان والإسلام باعتبار الكمال أو النفع مستويين في إطلاق أحدهما مكان الآخر، وعلى ذلك تحمل الآيات والأحاديث التي تدل على استوائهما، وعلى الكامل يحمل حديث شعب الإيمان، وإدخال أمور قدم بأنها من الإسلام في عدّ شعب الإيمان، وعلى ذلك بنينا أمر هذا الترجمان.

ويطلق المؤمن على المسلم من جهة أن التصديق شرط صحة الإيمان، وعلى معناهما الشرعي حيث لم يوجد الحمل ما جاء بما يقتضي تغايرهما، نحو قوله تعالى:﴿قالت الأعراب أمنّا، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ [سورة الحجرات الآية 14]، وحديث **سعد** في الذي ترك النبي ﷺ إعطاءه، فقال له سعد: "يا رسول اللّه: مالك عن فلان فواللّه إني لأراه مؤمنا"، فقال النبي ﷺ: {أو مسلما}، وهذا حديث صحيح[34].

والآية والحديث حجة لنا على المعتزلة حيث ذهبوا إلى أن الإيمان في الشرع فعل الواجبات، وعلى الكرامية وبعض المرجئة الذاهبين إلا أن الإيمان هو الإقرار باللسان دون عقد القلب[35].

ومما يرد مذهبهم الفاسد إجماع الأمة على إكفار المنافقين، وإن كانوا قد أظهروا الشهادتين، قال الله تعالى: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره، إنهم كفروا بالله ورسوله﴾ إلى قوله:﴿وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾ [سورة التوبة الآية 84].

وأما ما حكي عن **الزهري** رحمه الله من أن الإسلام "الكلمة، والإيمان العمل"[36]، فهو غير موافق لقول المعتزلة لأن المراد إن كان عمل القلب وهو التصديق الذي يطلق عليه الإيمان شرعا، فهذا ليس هو قول المعتزلة، بل هو قول لأهل السنة، وإن كان المراد عمل القلب وعمل الجوارح، فهو الإيمان الكامل، فيكون كلامه محمولا عليه.

(30) بتقديم القاف على الفاء أي يطلبونه، وفي رواية مسلم: ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتفقرون العلم. قال النووي: هو بتقديم القاف على الفاء معناه يطلبونه ويتتبعونه، هذا هو المشهور. وقيل معناه يجمعونه، ورواه بعض شيوخ المغاربة من طريق ابن ماهان يتفقرون بتقديم الفاء وهو صحيح أيضا معناه يبحثون على غامضه ويستخرجون خفيه. وروي في غير مسلم: يتقفون بتقديم القاف وحذف الراء وهو صحيح أيضا ومعناه أيضا يتتبعون.

(31) صحيح مسلم(1/36).

(32) سنن الترمذي(5/6).

(33) صحيح بن خزيمة(3/30) تحقيق د.محمد مصطفى الأعظمي، طبع المكتب الإسلامي بيروت 1390هـ، صحيح بن حبان (05/579-580) تحقيق شعيب الأرناؤوط، السنن الصغرى للبيهقي(1/390) تحقيق د.محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الدار المدينة المنورة الطبعة1. السنن الكبرى للبيهقي (03/105) تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار بن باز مكة المكرمة 1414هـ/1994م.

(34) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أعطى رهطا وسعد جالس، فترك رسول الله ﷺ رجلا هو أعجبهم إلي، فقلت: يا رسول الله مالك عن فلان؟ فواللّه إني لآراه مؤمنا، فقال: أو مسلما، فسكت قليلا، ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي، فقلت: مالك عن فلان؟ فو الله إني لآراه مؤمنا: فقال: أومسلما، ثم غلبني ما أعلم منه، فعدت لمقالتي، وعاد رسول الله ﷺ ثم قال: يا سعد إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن يكبه الله في النار. صحيح البخاري (1/18)(2/538)، صحيح مسلم(1/132)(2/538).

(35) شرح مسلم للنووي(1/147) الطبعة الثانية دار إحياء التراث العربي 1392هـ.

(36) سنن أبي داود (4/220)، عون المعبود(12/287) لعبد العظيم الآبادي الطبعة الثانية دار الكتب العلمية 1415هـ. تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي و محمد عبد الكبير البكري .طبعة وزارة العموم و الأوقاف و الشؤون الإسلامية المغرب 1387هـ. تحفة الأحوذي (7/290).

وكذلك يحمل على الإيمان الكامل قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ [سورة الأنفال الآية 2]، الآية وقول النبي ﷺ: {لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن}[37]، الحديث، وكذلك ما جاء نحو ذلك، فإنه محمول على الكامل، وعلى ذلك يحمل قول الإمام **الشافعي** (رضي الله عنه): الإيمان قول وعمل ونية، بهذا الاعتبار كان حديث:{إنما الأعمال بالنيات}، يدخل فيه ثلث فتنبه الإيمان المتعدي بالباء نحو قوله: الإيمان بكذا، وفعله: آمنت بكذا، خلافا لبعضهم، ووجه التغاير أن المتعدي بالباء معناه التصديق بوجود ذلك الشيء وإثباته، والمتعدي باللام معناه الإتباع والطواعية، فالإيمان بهذا الاعتبار مساويا للإسلام، وكذلك تقول: أسلمت له، ولا تقول: أسلمت به، قال تعالى حكاية عن **إبراهيم**: ﴿قال أسلمت لرب العالمين﴾ [سورة البقرة الآية 131] فشعب الإيمان بهذا الاعتبار تعم المتعدي بالباء، والمتعدي باللام.

إذا تقرر ذلك فليُسق حديث الشعب من الصحيحين، ثم نبين بتنزيل الشعب على حديث **جبريل** عليه السلام، فأما حديث الشعب فرويناه من طريق **البخاري**[38] بالسند المتقدم إليه، قال في باب أمور الإيمان، وقول الله عز وجل: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾. [سورة البقرة الآية 177]

وقوله تعالى ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ الآية[39]. حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا أبو عامر العقدي قال حدثنا سليمان بن بلال عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن **أبي هريرة** قال: قال **رسول الله** ﷺ:{الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان}.

ورويناه من طريق **مسلم** بالطريق المتقدم إليه قال أخبرنا عبيد الله بن سعيد وعبد بن حميد قالا حدثنا أبو عامر العقدي ونفسه السند والحديث وفيه جزما: {الإيمان بضع وسبعون شعبة}.

ثم قال **مسلم**: أخبرنا زهير بن حرب حدثنا جرير عن سهيل عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال **رسول الله** ﷺ: {الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان}، كذا وقع في صحيح مسلم من رواية[40] **سهيل** على الشك {بضع وسبعون} و{بضع وستون} وقد رواه غير مسلم من رواية **سهيل بن أبي صالح** {بضع وسبعون} من غير شك، ووقع في **الترمذي** من رواية **سهيل** بالجزم:{بضع وسبعون} فأما في رواية **عمارة بن غزية**: {أربعة وستون}، فإنا أخبرنا بذلك الشيخ نجم الدين **البغدادي** بالسند المتقدم إلى الترمذي قال حدثنا أبو كريب محمد ابن العلاء قال حدثنا وكيع عن سفيان عن سهيل بن أبي صالح عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال **رسول الله** ﷺ: {الإيمان بضع وسبعون بابا، أدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول لا إله إلا الله}، هذا حديث حسن صحيح.

قال **الترمذي**: وروى عمارة بن غزية هذا الحديث، عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:{ الإيمان أربع وستون بابا}. قال: حدثنا بذلك قتيبة حدثنا بكر بن مضر عن عمارة بن غزية عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ. هذا ما ساقه الترمذي[41]. واختلف المحدثون في الترجيح بين هذه الروايات، فمنهم من رجّح رواية الأقل، ومنهم من رجح رواية الأكثر، وعلى ذلك جرى الحليمي لأن الحكم لمن حفظ الزيادة.

والبِضع بكسر الباء على المشهور، وقد تفتح، وهو ما بين الثلاث والعشر، وقيل من ثلاث إلى تسع، وقال الخليل: "البضع تسع، وقيل ما بين اثنين إلى عشرة، وما بين اثني عشر إلى عشرين، واختاره بعضُهم، ولكن الأول أشهر عند أئمة اللغة، قال الجوهري: "ولا يقال بضع وعشرون"، قلت: والحديث الصحيح المذكور في بضع وستين وبضع وسبعين يرد ما قاله الجوهري".[42]

والشعبة هي القطعة من الشيء، فمعنى الحديث: "بضع وستون خصلة".

قال **ابن حبان**: "وتتبعتُ معنى هذا الحديث مدّة، وعددتُ الطاعات فإذا هي تزيد على هذا العدد شيئا كثيرا، فرجعتُ إلى السنن، فعددتُ كل طاعة عدّها رسول الله ﷺ من الإيمان فإذا هي تنقص عن البضع والسبعين، فرجعتُ إلى كتاب الله تعالى فقرأتُه بالتدبر، وعددت كل طاعة عدها الله جل وعلا من الإيمان، فإذا هي تنقص عن البضع والسبعين، فضممت الكتاب إلى السنن وأسقطتُ المعاد، فإذا كل شيء عده الله عز وجل ونبيه ﷺ من الإيمان تسع وسبعون شعبة لا تزيد ولا تنقص، فعلمتُ أن مراد رسول الله ﷺ أن هذا العدّ في الكتاب والسنن".

وذكر ابنُ حبان جميعَ ذلك في كتاب (وصف الإيمان وشُعبه)، ولم أر هذا الكتاب، وإنما حكي هذا الكلام عنه، وكنتُ أود لو وقفتُ على كتابه المذكور، وأنظر ما قرر فيه من الأمور[43]، ولكن الفتح الرباني عن ذلك كلّه أغناني، وقد بسطتُ القول على ذلك في التصنيف الكبير[44]، فلينظر فإنه مفيد نفع الله به آمين.

تم كتاب (ترجمان شعب الإيمان) بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، وصلى الله على سيدنا **محمد** وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، وحسبنا الله ونعم الوكيل].

(37) صحيح البخاري (2/875-936)(5/2120)(6/2487-2489-2497-2498).
(38) صحيح البخاري (1/12).
(39) فتح الباري لابن حجر (1/51) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي و محي الدين الخطيب. طبعة دار المعرفة بيروت 1379هـ.
(40) صحيح مسلم(1/62-63).
(41) سنن الترمذي (5/11) تحفة الأحوذي(7/301).
(42) لسان العرب لابن منظور (8/13).
(43) لخص الحافظ ابن حجر الكلام تلخيصا نفيسا انظره في فتح الباري (1/51-52).
قال: ولم يتفق من عد الشعب على نمط واحد، وأقربها إلى الصواب طريقة ابن حبان لكن لم نقف على بيانها من كلامه وقد لخصتُ مما أوردوه ما أذكره وهو أن هذه الشعب تتفرع عن أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن،...إلخ.
(44) لعله: الفيض الجاري على صحيح البخاري أو شرح صحيح البخاري، أو أن الإشارة تدل على كتابٍ للمصنف عنوانه: شعب الإيمان، هو أصل هذا الترجمان المختصر منه.